الفصل الثاني
في المجال الإسلامي

مر فكر سيد قطب الإسلامي في ـ في نظري ـ بأطوار زمنية ثلاثة لا أظن أنها تخفى عمن عايش هذا الفكر وتفيأ ظلاله ، وهذا أمر بديهي لأن ما تركه الشهيد ، عليه الرضوان ، من العطاء الإسلامي يعلن عن هذا التقسيم الزمني ، وإليك هذه الأطوار التي حاولت تعيين كل طور منها باسمه حتى تكون واضحة الملامح .

١ ـ طور الإرهاص :

ترجع اهتمامات شهيدنا العزيز بالدراسات القرآنية إلى عام ١٣٨٥ موافق ١٩٣٩م . حين نشر بمجلة «المقتطف »بحثه الطريف «التصوير الفني في القرآن» ، ونشر فيما بعد في كتاب عام ١٣٦٥ موافق ١٩٤٥ ، وإن هذه الدراسة في الحقيقة دراسة أدبية فنية فريدة من نوعها ترهص إلى استعداد كامل للانطلاق نحو العمل الإسلامي في إطار الفلسفة الجمالية لكتاب الله المعجز اقتناعاً بربانيته ، ولذلك تلاه كتاب «مشاهد القيامة في القرآن» عاكساً فيه طريقة القرآن في عرض مشاهد القيامة ، مؤمناً بإعجازه فيما سلكه من وسائل فنية لإبراز الإبداع الإلهي في الكلمة الهادية .

ولاشك أن مثل هذا الدراسات فتحت آفاقا جديدة للشهيد أطل منها على دنيا التصور الإسلامي من خلال التذوق الفني ، والبحث الجمالي ، مما حفزه إلى ارتياد عالم القرآن ، وفي هذا الطور بالذات تصدى لكتاب «هذه الأغلال» لعبد الله القصيمي وذلك سنة ١٣٦٦ موافق ١٩٤٦م يرد على ما ورد فيه ، وخصوصا ما ذهب إليه القصيمي من أن روح التدين تخالف روح الحياة [١] ، وراح سيد قطب يفند كل من ما ذهب إليه المؤلف من مزاعم ، ويهاجم بعنف من أطرى الكتاب ،

(١) الرسالة العدد ٧٠٢ ص ١٣٨٢ ـ ١٣٨٤ .

ومنهم العقاد ، مما يدل على بداية استقلال سيد قطب عن أستاذه وتأهبه لخوض ميدان جديد ألا وهو ميدان العمل الإسلامي .

التصوير الفني في القرآن :

يدرس هذا الكتاب عملية التصوير الفني في القرآن الكريم دراسة نقد متعمق يستشرف اكتشاف آفاق الإعجاز الجمالي في القرآن الكريم .

وقد استطاعت هذه الدراسة أن تصل إلى نتائج مثمرة جدًّا ، مما جعلها دراسة متفردة في هذا المجال ، ويمكن اقتضاب خصائص نظرية التصوير الفني هذه فيما يلي :

التخييل الحسي بما يحمله من تصوير باللون والحركة والإيقاع ، والتخييل الحسي والتجسيم اللذان يصوران المعنى المجرد محسوساً ، والتناسق الفني وهو ألوان ، منها ما تنبه إليه الباحثون قبله ـ كما يقول سيد نفسه ـ [1] ومنها ما لم يتنبه له غيره ، من ذلك تناسق التعبير مع المضمون ، وتناسق الإيقاع الموسيقي في الصورة .

ويختم الشهيد دراسته هذه بالحديث عن القصة في القرآن وأغراضها وخصائصها الفنية وآفاق التصوير فيها ، ورسم الشخصيات فيها .

والحق أقول : إن التصوير الفني فتح جدي في مجال الدراسات القرآنية الجمالية؛ مما جعل كتاباً لا يمتون إلى الفكر الإسلامي بصلة يرفعون عقيرتهم لرفع الحظر عن إنتاجه والمطالبة بتقرير كتبه في الجامعات والمدارس خاصة هذا الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه ، ومن بين هؤلاء رجاء النقاش حين يقول : «وإني لأتمنى أن يأتي اليوم الذي أرى فيه كتاب التصوير الفني في القرآن بين أيدي طلابنا في الجامعات والمدارس ، فمن خلال هذا الكتاب الرابع يمكن للقلوب الجديدة أن تفهم سحر

(١) ص ٧٤ ، ط دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ .

القرآن وتعشقه »[١] .

مشاهد القيامة في القرآن :

هذا هو الكتاب الثاني في الدراسة القرآنية الجمالية بعد «التصوير الفني في القرآن»؛ إذ صدرت طبعته الأولى عام ١٣٦٧ موافق ١٩٤٧ .

وقد تحدث فيه سيد ~ ، قبل أن يبدأ في استعراض المشاهد ، عن «العالم الآخر في الضمير البشري» و«العالم الآخر في القرآن» ، ثم راح بعد ذلك يستعرض المشاهد ، والمشهد عنده هو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والإيقاع مراعيا في ذلك ترتيب السور بحسب نزولها وهو عمل تقريبي كمال قال[٢] .

وإن طريقة التصوير الفني التي تحدث عنها سيد قطب في الكتاب السابق ، وأثبت أنها الأداة المفضلة في أسلوب القرآن هي نفسها الأداة التي توسل بها القرآن الكريم في تقديم «مشاهد القيامة» .

وقد أتحف المؤلف قراءه بعرض خمسين ومائة مشهد موزعة في ثمانين سورة عرضاً جميلاً تحوي الكثير من المتعة ، وتحوي الوقفات البصيرة ببعض مواطن الإعجاز البياني في النصوص القرآنية ، وتحوي النظرات المتريثة تسعى جادة وراء الكلمة الربانية تستنطق أسرارها .

والحق أقول أيضا : إن «مشاهد القيامة» فتح آخر في مجال الدراسات القرآنية الجمالية تشهد لأستاذنا سيد قطب بالريادة في هذا ، وتشهد له بالتألق المستمر .

٢ ـ طور الترعرع :

إن الدراسات الجمالية التي اضطلع بها سيد قطب في كتاب الله المعجز جعلته ـ

---

(١) مجلة «الهلال» ، السنة ٨٥ ـ ص ١٨١ – ١٨٢ – صفر ١٣٩٧ فبراير ١٩٧٧ .

(٢) ص ١٠ ، ط ١٣٨٦ – ١٩٦٦ .

كما سلف ـ يرتاد عالما جديدا يشع نوراً ويتألق هداية وخيراً ، ألا وهو عالم الإسلام في تصوراته عن الحياة والكون والإنسان ، وقد شهد هذا الطور ترعرع المفاهيم الإسلامية لدى الشهيد العزيز ، وإن خير ما يمثل ذلك من كتبه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» و«معركة الإسلام والرأسمالية» و«السلام العلمي والإسلام» و«أمريكا التي رأيت» و«دراسات إسلامية» .

العدالة الاجتماعية في الإسلام :

في سنة ١٣٦٩هـ موافق عام ١٩٤٩ صدر لأستاذنا الشهيد كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام» وهو أول إنتاج له في الفكر الإسلامي بعيداً عن الدراسات الجمالية .

وعندي ـ والله أعلم ـ أن هذا الكتاب يمثل واجهة التحول في فكر الشهيد ~ ، بعد أن أصبحت الحقائق الإسلامية تترعرع لديه ، ومما يؤكد ذلك الرسائل التي كان يبعث بها إلى أصدقائه في فترة إقامته في «أمريكا» من سنة ١٣٦٩ إلى سنة ١٣٧٠ موافق ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠م ، ومن هذه الرسائل رسالة لتوفيق الحكيم ـ وقد سلف ذكرها ـ ورسالة لأنور المعداوي ـ وقد سلف ذكر فقرة منها ـ يصرح له فيها بتخليه عن النقد الأدبي ، وانصرافه إلى العمل الاجتماعي .

ولقد بسط سيد في هذا الكتاب الحديث عن الإسلام والمسيحية ، وعقد موازنة بينهما أظهرت الحق واضحاً ، كما بسط الحديث عن التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون ، والحديث عن سياسة المال والحكم في الإسلام ، وبذلك يكون سيد في هذا الكتاب قد وضع اللبنة الأولى في طريق فكره الإسلامي ، الأمر الذي جعل الإمام حسن البنا يقول عن هذا الكتاب : «هذه أفكارنا ، وكان ينبغي أن يكون صاحبها واحداً منا »[١] .

---

(١) انظر : العظم «يوسف» الشهيد سيد قطب ، ص ١٥٥ .

معركة الإسلام والرأسمالية :

هذا الكتاب يلتهب كل حرف من حروفه ثورة على الظلم الاجتماعي والجور السياسي ، وتمرداً على الباطل في كل أنماطه ، وسخطاً على الترف الرأسمالي .

ويعالج الكتاب شتى الموضوعات من بينها «سوء توزيع الملكيات والثروات» و«مشكلة العمل والأجور» و«طغيان الحكم» و«عداوات حول حكم الإسلام» .

ونظراً لما أحدثه الكتاب من تصدع في بنية الحكم الإقطاعي ، وما قام به من إدانة للطغيان والاستبداد والتنبؤ بانتهاء عهد الحكم الفاروقي فقد طبع ثلاث طبعات : الأولى في عهد فاروق عام ١٣٧٠ موافق عام ١٩٥٠ ، والثانية عام ١٣٧٢ موافق عام ١٩٥٢ ، والثالثة عام ١٣٨٦ موافق ١٩٦٦ ، وذلك بعد تنفيذ الإعدام في صاحبه ، وفي هذا الكتاب قال الداعية الأستاذ أبو الحسن الندوي :

«لقد أعجبتني قوة الكاتب وصراحته في هذا الكتاب وإيمانه ، ومن فتوح الإسلام الجديدة أنه يسخر لرسالته مثل هذا الكاتب الكبير والأديب المثقف »[1] .

والكتاب في الأخير إنذار للطغاة ، وبلاغات عسكرية تترى عن المعركة ضد البغاة تعد بانهزام الظلم وانتصار العدل .

السلام العالمي والإسلام :

يتولى هذا الكتاب بسط الحديث عن السلام في الإسلام ، وكيف أنه يعمل بكل الوسائل على تحقيقه بين الناس ، وذلك بتحققه في الضمير والبيت والمجتمع والعالم .

وخلال ذلك كشف سيد قطب ~ تعالى بما أوتي من قوة الحجة وجلد على الإقناع في بيان تفاهة الحضارة المادية بما فيها الرأسمالية والاشتراكية ، ومما يجدر ذكره هنا أن الحكم الناصري «الثوري» حذف من الكتاب فصلا تحت عنوان «والآن» .

---

(١) انظر كتابه مذكرات سائح في الشرق العربي ، ص ٩٧ ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ .

لماذا أقدم الحكم الناصري «الثوري» على هذا الإجراء؟ الجواب يكمن في أن هذا الفصل بالذات يفضح السياسة الأمريكية ، ويمزق أقنعتها ويعري واقعها الزائف ، والثورة كانت على علاقات بالسفير الأمريكي «وجفرسون كامري » [١] .

ولقد خلا الكتاب من هذا الفصل في كل الطبعات التي صدرت بعد عام ١٣٧٤ موافق ١٩٥٤م ، ومن أراد الوقوف عليه فليعمد إلى الطبعة الأولى منه والثانية .

وفي هذا الفصل ، وفي غيره مما كتبه عن السياسة يظهر فكر سيد قطب السياسي في اتزانه وشموخه وحسن تحليله ، يقول عن السياسة الأمريكية :

«فأما الكتلة الرأسمالية بقيادة أمريكا فتستخدم عدة وسائل لهذه الغاية ، تستخدم أولا عامل التخويف للرأسمالية في كل أنحاء العالم بخاصة في العالم العربي الإقطاعي من الشيوعية التي تزحف يوما بعد يوم ، وتناشدهم المصلحة المشتركة بين الاستعمار والرأسمالية تلجأ إلى المحالفة الطبيعية الرأسمالية المحلية والرأسمالية العالمية » [٢] .

أمريكا التي رأيت :

هو دراسة صور فيها سيد قطب ~ تعالى مشاعره إزاء حضارة الغرب ، ودون ملاحظاته وانطباعاته عن المجتمع الأمريكي الهابط ، لذلك تعد الدراسة وثيقة هامة جدا تدين مجتمعات الغرب المتفسخ ، ووثيقة هامة أيضا تبرز الفكرة الإسلامية لديه ، وتؤكد لذلك ، أن الإسلام هو الخلاص الوحيد من هذه الجحيم الذي تكتوي به الإنسانية .

ولكن هذه الدراسة ــ مع الأسف ــ لم تر النور ؛ إذ اعتقل سيد عام ١٩٥٤ ،

---

(١) راجع علاقة الثورة بالدولة الأمريكية في كتاب أنور السادات «يا ولدي هذا عمله جمال» ، ص ٩٥ ، عام ١٩٦٥ دار القومية للطباعة والنشر .

(٢) ص ١٦٣ ، من الكتاب ، ط ٢ .

وكان قبل ذلك يعتزم نشرها ، فسلم المخطوطة لأحد أصدقائه أمانة لديه ، غير أن الأزمة حين اشتدت وطأتها على «الإخوان المسلمين» ارتاع هذا الصديق وخاف أن تمتد يد المكر فأحرق المخطوطة [١] .

مع ذلك فإن مجلة الرسالة [٢] تحتفظ بحلقات ثلاث من هذه الدراسة تحدث فيها عن حضارة أمريكا وتفكير شعبها وعاداته وتفسخه ، وقد نشر هذه الحلقات تحت عنوان «في ميزان القيم الإنسانية» .

وقد نقل عن كتابه هذا نقولاً في تفسيره «الظلال» [٣] ، وفي كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة» [٤] يستشهد بها شاهده من إباحية وتفسخ في هذا العالم الذي يزعم لنفسه الريادة الحضارية .

معركتنا مع اليهود :

هو مجموعة مقالات كان الشهيد ينشرها بجريدة «الدعوة» ، عام ١٣٧١ ـ ١٩٥١ ، وما بعده وهي كلها تعالج موضوع معركة المسلمين مع اليهود ، ومع الاستعمار من رؤية إسلامية ، وتحتوي لهجة صريحة لا تنزلف ولا تتملق على عادة سيد قطب ، عليه الرضوان ، وفيما يلي الموضوعات المطروحة في الكتاب :

«أيها الفدائيون أمضوا في طريقكم» «ماذا صنعتم لأبطال فلسطين؟» «سباق إلى التضحية والفداء» ، «معركتنا مع اليهود» «الإسلام نظام اجتماعي لا تعويذة» «حقيقة الكتلة الإسلامية» ، «فلنعرف من نحن» ، «أين الطريق؟» «إلى المتثاقلين عن الجهاد» .

---

(١) انظر : الخالدي صلاح سيد قطب الشهيد الحي ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) السنة ١٩، العدد ٩٥٧ ، ص ١٢٤٥ ، والعدد ٩٥٦ ، ص ١٠٣١ ، والعدد ٩٦١ ، ص ١٣٥١ عام ١٣٧١ ـ ١٩٥١ .

(٣) انظر : مثلا المجلد ٦ ، ص ٩٣ .

(٤) انظر : ص ٧٤ ، ٧٥ ، و ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .

obeikandl.com

فالكتاب ، في الجملة ، صرخة مدوية لإثبات الكيان الإسلامي ، ورفض المذلة وتحرير فلسطين ، والدعوة إلى الجهاد لإقرار كلمة الله في الأرض .

٣ ـ طور النضج الفكري والإعلان عن منهج العمل الإسلامي :

يمثل هذا الطور نضج الفكر الإسلامي عند سيد قطب ، عليه الرضوان ، ومن الإنصاف أن نعترف بأنه استفاد من فكر «الإخوان المسلمين» الذي تولى الإمام الشهيد حسن البنا تكوينه ورعايته ، وخاصة أن سيداً كان معجبا بالإمام «البنا » وكان هذا الإعجاب يتركز على الخصوص فيما قام به من بناء تنظيمي للجماعة والبناء الروحي ، ويترجم ذلك قوله في فصل «حسن البنا وعبقرية البناء» من كتابه «دراسات إسلامية» :

هذا البناء الضخم «الإخوان المسلمون» ، إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات ، إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس استجاش الداعية مشاعرهم ووجداناتهم فالتقوا حول عقيدة ، إن عبقرية البناء تبدو في كل خطوة من خطوات التنظيم من الأسرة إلى الشعبة إلى المنطقة على المركز الإداري إلى الهيئة التأسيسية إلى مكتب الإرشاد .

هذا من ناحية الشكل الخارجي ، وهو أقل مظاهر هذه العبقرية ، ولكن البناء الداخلي لهذه الجماعة أدق وأحكم وأكثر دلالة على عبقرية التنظيم والبناء «البناء الروحي »هذا البناء الذي يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتيبة وأفراد الشعبة » [١] .

وليس يعني هذا أن سيداً استمرار للبنا كما يذهب إلى ذلك الأستاذ غازي التوبة في كتابه «الفكر الإسلامي المعاصر» لا [٢] .

---

(١) ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ط دار الشروق ، عام ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ .

(٢) ص ٢٢١ ، ط ٣ ـ ١٩٧٧ ، دار العلم بيروت .

إنه ظاهرة متميزة في مجال الفكر الإسلامي المعاصر . دون شك ، كما سيأتي بيانه عما قريب بما قدمه من أعمال جليلة شكلت مدرسة حركية قوامها الفكر الناضج الحي الحافل بالعطاء الثر ، النابع من التجربة الطويلة والاطلاع الواسع والعلم الغزير . والثقافة الشاملة تمتد إلى كل مجال .

وهذا لا ينفي أن الإمام حسن البنا فتح للشهيد آفاقا حين أنصت إلى بعض محاضراته كما مر سابقا ، أو قرأ إنتاجه واستفاد منه ، كما استفاد من غيره في قراءاته الكثيرة في الفكر الإسلامي قديمه وحديثه .

وإن خير ما يمثل هذا الطور من نضجه الفكري في المجال الإسلامي كتبه الحركية الآتية «هذا الدين» «المستقبل لهذا الدين» «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» الإسلام و«مشكلات الحضارة» «في ظلال القرآن» «معالم في الطريق» .

هذا الديـــن :

يقدم هذا الكتاب الواجهة الحركية لفكر سيد ، ذلك أنه يؤكد للإسلاميين وخاصة بعد أن لاقى «الإخوان المسلمون» في سجون «جمال عبد الناصر »ما تنوء به الجبال من التعذيب والتنكيل بأن هذا الدين لا يمكن أبدا أن تمتد جذوره وظلاله إلا إذا تولت الجماعة المؤمنة رعايته بالدعوة إليه ، ومثلوا تعاليمه في حياتهم الخاصة والعامة ، فما كان الإسلام نظرية بدون تطبيق ، أو فكرة تجول في الخواطر دون أن يكون لها وزن في الواقع تغيره في إطار منهج إسلامي متكامل يشمل كل جوانب الحياة ، ويقوم أساسا على عبودية الله ، ورفض العبودية للبشر متناغماً مع الفطرة البشرية ؛ لأنه هو نفسه يحتوي أشواق الفطرة ، وداعياً إلى وحدة الجنس البشري غير معترف بما يسود العالم من عصبيات جاهلية ، ومنادياً إلى رفض كل أنماط الظلم والحيف والقمع .

ويختم سيد قطب الكتاب بالدعوة إلى التزود بالتقوى؛ لأنه هو الزاد الحق الذي

يجب أن يتزود به المؤمن في رحلته عبر طريق الدعوة إلى الله لإقامة المجتمع الإنساني على هداه ، وتصدر قافلة البشرية والسير بها نحو الشاطئ الأمين ، حيث منهج الله هو المرجع الأول والأخير .

المستقبل لهذا الدين :

وهذا الكتاب أيضا يقدم حركية الفكر الإسلامي عند سيد قطب رضوان الله عليه ، لذلك افتتحه بالحديث عن الإسلام منهجا للحياة ، ويعني بذلك منهج حياة بشرية واقعية بكل ما تقوم عليه من مقومات تحتوي التصور الاعتقادي الذي يتولى تفسير طبيعة الوجود ، ويعين المكان الذي يحتله الإنسان في رحابه ، كما يعين الغاية التي من أجلها أبدعه الله تعالى .

ويشمل هذا المنهج النظام الأخلاقي والنظام السياسي والنظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والنظام الدولي ، لهذا السبب كان المستقبل للإسلام .

لأجل هذا تأمرت الصليبية العالمية والصهيونية الدولية والإمبريالية المقيتة ، والشيوعية الإقطاعية على الإسلام لحصره في دائرة الاعتقاد الوجداني والشعائر التعبدية حتى لا يمتد نفوذه إلى الحياة الواقعية ، وكل جوانب النشاط البشري ، وكان من هذه المؤامرات ما قام به القائد التركي مصطفى «أتاتورك »من إلغاء [1] الخلافة الإسلامية ، وفصل الدين عن الدولة ، وإعلان الدولة التركية اللادينية .

وهكذا فصل الدين عن الدولة في كل بقاع الأرض ، ومن هذا البقاع بقاع الإسلام ، وهكذا أصبحت الحضارة الغربية تعلن عن نهاية سلطتها ، وعن قرب انهيارها حين تخلت عن القيم الروحية ، وراحت تضرب في التيه على غير هدى ، وبسبب ذلك راحت صيحات الخطر تعلن عن سوء مصير البشرية ، وقد استشهد

(١) رغم ما قام به أتاتورك من جهد لتكفير الأمة التركية فقد ظلت هذه الأمة متشبثة بعقيدتها ، وهي اليوم تعرف صحوة إسلامية مباركة كما تعرفها كل أقطار الإسلام والحمد لله .

المؤلف بآراء رجلين من علماء هذا القرن هما : الدكتور «لكسيس كاريل» ، والسياسي الخطير مستر «دالاس» وزير الخارجية الأمريكية .

ويخلص المؤلف إلى أن المستقبل لهذا الدين وأن ما تتعرض له الطلائع المؤمنة من مضايقات وتعذيب وتنكيل لن يشككنا في هذه الحقيقة ، حقيقة انتصار الإسلام؛ لأن الإسلام واجه ضربات أعنف مما واجه الآن ، فانتصر وقاد البشرية إلى ما كانت تحلم ، ولكن هذا لن يتحقق إلا بعد جهاد مرٍّ .

هكذا يبين الشهيد ، عليه الرضوان ، منهج هذا الدين وهدفه المحدد ليعرف كل مسلم طريقه إلى الحق دون التباس ، فلا يلتفت إلى مناهج البشر التي خلقتها الأهواء .

خصائص التصور الإسلامي ومقوماته :

هذا الكتاب هو الذي سبق للمؤلف أن وعد بإخراجه تحت عنوان «فكرة الإسلام عن الله والكون والحياة والإنسان» [١] ، ثم غير هذا العنوان بالعنوان الحالي :

وقد جعل المؤلف الكتاب قسمين : القسم الأول يتعلق ب«خصائص التصور الإسلامي» ، والقسم الثاني ب«مقومات التصور الإسلامي» [٢] .

فأما الأول فقد صدر عام ١٣٨٢ موافق ١٩٦٢ ، وأما الثاني فقد صدر منذ أشهر فقط .

القسم الأول :

يفتتح سيد الكتاب بموضوع «كلمة في المنهج» ، وفيه يؤكد أن تحديد خصائص التصور الإسلامي أمر ضروري ليتعامل على أساسها المسلم مع حقائق الوجود حين يعرف حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، ويجب في كل ذلك استلهام القرآن ،

(١) انظر خصائص الشعور الإسلامي ومقدماته ، ص ٣ ، ط٢ ، مكتبة وهبة ، عام ١٩٦٥ .

(٢) انظر كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ص ٢١ ، بالهامش ط٩ ١٣٨٧ ، ١٩٦٧ ، بيروت .

والمنهج عندنا ـ كما يقول سيد ـ في استلهام القرآن يتركز على نبذ المقررات العقلية والشعورية التي استمدت من الثقافات الأخرى التي لم تستمد أحكامها من الوحي .

ويطرح المؤلف موضوع الوحي والعقل ، ويرد على كل من تأثر بالعقل ، ويدعو إلى عدم الإفراط والتفريط في الأمر معطياً جانب الوحي ما يستحقه ، وجانب العقل ما يستحقه مبيناً في الوقت نفسه مهمة كل واحد منهما ، ومنبهاً على قيمة الوحي وعجز العقل عن مواجهة كثير من القضايا .

ثم يبين الشهيد خصائص التصور الإسلامي فيعرض كل خصيصة على حدة مع معالجة مركزة وتناول يتميز بعمق التفكير وسداد الرأي وتتلخص فيما يلي :

الربانية ـ الثبات ـ الشمول ـ التوازن ـ الإيجابية ـ الواقعية ـ التوحيد .

القسم الثاني [(١)] :

في هذا القسم يدرس سيد مقومات التصور الإسلامي ، وقد أنهى أستاذنا كتابته في الأيام الأخيرة من وجوده في السجن وكتبه على أوراق الادعاء التي قدمت له قبل المحاكمة [(٢)].

ويحتوي الكتاب مقدمة تحت عنوان «وجهه البحث» والمباحث الآتية : «مقدمات التصور الإسلامي» «ألوهية وعبودية» «حقيقة الألوهية» «حقيقة الكون» «حقيقة الحياة» «حقيقة الإنسان» .

وبالنسبة للفصلين الأخيرين «حقيقة الحياة» و«حقيقة الإنسان» فإنهما ضاعا ـ فيما ضاع من إنتاج الشهيد ـ ولم يبق منهما إلا مقدمتاه .

---

(١) تناولت هذا القسم بحديث مفصل نشر في حلقتين بجريدة «النور »العددان ٢٣٩ ، ٢٤٠ السنة ١٤ ـ شعبان ١٤٠٧ أبريل ١٩٨٧ والعددان ٢٤١ ، ٢٤٢ السنة ١٤ ـ رمضان ١٤٠٧ ماي ١٩٨٧ .

(٢) انظر : مقدمة الكتاب بقلم شقيقه ، ص٧ ـ ط١ دار الشروق ١٤٠٦ ـ ١٩٨٩ .

ومما يلفت النظر أن شهيدنا العزيز يبحث المقومات بحث العالم السلفي الذي يستنطق النصوص الشرعية ويرفض البحوث الفلسفية ، ولا يقول بما يسمى بالفلسفة الإسلامية أو بما يسمى بعلم الكلام؛ لأن ذلك يجني على النص الشرعي ويفسد مراميه ويؤوله على غير حقيقته .

هكذا يتناول أستاذنا مباحثه مقدماً لكل مبحث بنصوص قرآنية تقرر الحقائق في مجال التوحيد ، ثم يوالي بقلمه المتميز الجميل تحليل ما يحتاج إلى تحليل .

بالجملة ، فالكتاب بقسميه دراسة عقدية متعمقة تعد ـ عندي ـ أنفس ما أنتجه الشهيد .

وحبذا ـ والشهيد يعالج موضوع التوحيد ـ لو أنه عرج بالحديث عن واقع المجتمع الإسلامي الحديث وخاصة منه المصري ، وما يزخر به من مظاهر الشرك المتمثلة في رواد الأضرحة والطرقية المروجة لمختلف الضلالات ، ومختلف البدع المضللة .

الإسلام ومشكلات الحضارة :

سبق لنا أن تحدثنا في الفصل الأول من هذا الباب عن زيارة سيد قطب ~ ، لأمريكا ووقوفه على مساوئ حضارة هذا العالم الجديد ومفاسدها الكثيرة ، مما جعله يتيقن من أن حضارة الغرب حضارة تحمل في داخلها عوامل الفناء .

وليس من ريب في أن هذه الزيارة قد أمدت المؤلف بكثير من الأفكار طرحها في كتابه ، وأعانته على إصدار الأحكام في الحياة المادية التي يحياها الغرب .

وقد بحث في هذا الكتاب قضية الإنسان وطريقة عيشه التي هي عبارة عن حياة مادية مليئة بالمخاطر والمهالك ، ويؤكد أثناء ذلك بأن الذين اعتقدوا أن الخلاص في الماركسية إن هم إلا أناس غافلون عن الحق؛ لأن الماركسية ذاتها الابن الشرعي

للحضارة المادية التي حاربت حقيقة الإنسان في روحه وأعماقه .

ولا يفوت المؤلف أن يعالج موضوع العلاقات الجنسية بين المرأة والرجل ، وعن نظرة الغرب إلى الجنسين ، وتخبط هذه النظرة في ركام من التيه؛ إذ هتكت ستار العفة ، فأشاعت التفسخ والانحلال ، وفقدت بذلك المرأة عفتها ، وفقد الرجل كرامته وأصبح الجنسان يعانيان كثيراً من الضنى ، وذلك بتخليهما عن الوظيفة التي أرادها لهما الله تعالى ، فلم تعد المرأة أما تنهض بالأمومة على الوجه المطلوب ، وزوجة تضطلع بالحياة الزوجية كما ينتظر منها المجتمع ، ولم يعد الرجل يعطي الجنس اللطيف ما يستحقه من احترام ، وهكذا انقلبت الموازين ، وأصبحت الإباحية هي التي تقود الجنسين إلى الدمار .

دراسات إسلامية :

هي مجموعة من المقالات التي كان الشهيد يوالي نشرها في مجلات مختلفة كالرسالة وغيرها في ١٣٧٠ موافق ١٩٥٠ وبعده ، وقد حوى هذا الكتاب من هذه المقالات ستا وثلاثين ، من بينها «محطم الطواغيت» و«الإسلام يكافح» و«خذوا الإسلام جملة أو دعوه» و«أدب الانحلال» و«إسلام أمريكاني» و«العبيد» .

وتتسم المقالات باللهجة الصادقة ، وقوة الكلمة على نهج السلف الصالح في إسداء النصح والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، غير مبال بما قد يترتب عن ذلك من عواقب ، ومن باع نفسه لله استهان بالعواقب .

نحو مجتمع إسلامي :

هذا الكتاب يتضمن خمسة موضوعات هي : «المستقبل للإسلام» «كيف نستوحي الإسلام» «طبيعة المجتمع الإسلامي» «مجتمع عالمي» «نظام رباني» ، وهي كلها نشرت في مجلة «المسلمون »في زاوية «نحو مجتمع إسلامي» .

وبعد استشهاده تسابقت المكتبات على طبع إنتاجه ، وتصويره ، فنشرت مكتبة

عمانية تدعى مكتبة الأقصى هذه المقالات في كتاب تحت هذا العنوان .

ويجدر هنا أن ننبه على أن موضوع هذا الكتاب ليس هو الذي كان يعلن عنه حين قال في كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة» فصل «طريق الخلاص» :

«وفي حدود جهدي الخاص : لقد أعددت لهذا بحثا ضخما مفصلا تحت عنوان : «نحو مجتمع إسلامي» [(١)] .

وقد يعتقد البعض أن هذا الكتاب هو نفسه الذي كان يعلن عنه ، ولكن من خلال كلام الشهيد نستفيد أن البحث ضخم والكتاب الذي نحن بصدده ليس في هذا الحجم ، فهو صغير الحجم تضم دفتاه اثنتين وخمسين ومائة صفحة «١٥٢» ، وليس ببعيد أن تكون بعض موضوعات هذا الكتاب من موضوعات هذا البحث الضخم ، كموضوع «طبيعة المجتمع الإسلامي»؛ لأنه ألصق به .

ومهما يكن فالكتاب يتناول بالحديث المجتمع الإسلامي ، وكيف يمكن أن نقيمه في نفوسنا ثم في واقعنا ، وكيف يمكن لهذا المجتمع أن يخضع للتصور الإسلامي في نظرته الشاملة للكون والحياة والإنسان ، وأن يكون قدوة لغيره من المجتمعات البشرية؛ لأنه مجتمع عالمي ، على أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي ولا يعد الحدود الجغرافية ، إنه مجتمع يرفض العصبيات ويرحب بالانفتاح على كل الآفاق .

في ظلال القرآن :

هو تفسير الشهيد للقرآن الكريم ، ولست أريد الحديث عنه الآن ، فإن لنا وقفات تطول وتطول ، لأنه قطب الرحى في هذا البحث ، فإلى القسم الثاني منه إن شاء الله تعالى .

---

(١) ص ١٨٣ ـ دار إحياء الكتب العربي ، ١٩٦٢ .

معالم في الطريق :

إن آخر عمل إسلامي ـ باستثناء فصول من القسم الأخير من كتابه «مقومات التصور الإسلامي» الذي كتبه قبل تنفيذ الإعدام ـ يقدمه سيد قطب عليه الرضوان ، لأهل لا إله إلا الله هدية حب في الله ، ترسم الطريق المضيء ، وهو بين قضبان السجن يعاني صقيع التعذيب ولهيب التنكيل .

وقبل أن يرى هذا الكتاب النور قدمه الشهيد للمرشد العام للإخوان المسلمين الأستاذ حسن الهضيبي ليقول له فيه رأيه [١] ، وكان ذلك حين خرج من السجن عام ١٣٨٤ موافق ١٩٦٤ بتدخل من الرئيس العراقي ، كما سلف ، وكان رأي الهضيبي فيه أن قال : «لماذا لا تنشر الكتاب ليكون بين يدي الإخوان يتدارسوه بينهم» [٢] .

وطبع سيد قطب كتابه في شهر رجب ١٣٨٤ موافق يناير ١٩٦٤ ، وبعد ذلك دبر له الحكم القائم مؤامرة لسجنه ، وكان الاستشهاد بسبب هذا الكتاب .

نعم كان الكتاب السبب المباشر في إعدام سيد ، وبعبارة أخرى : قدم رأسه ثمنا له ، وقد انتقلت شهرة الكتاب من مصر إلى العالم العربي والإسلامي ، فقد أعلنت عنه الصحف في تركيا فقالت : «الكتاب الذي أعدم من أجله سيد قطب » [٣] .

ولم يمض شهر حتى كان الكتاب قد نفذ وطبع مرة ثانية وثالثة [٤] ، وترجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والسواحلية وغيرها . وطبع طبعة أخرى بمطبعة الرسالة بالمغرب بإشراف الأستاذ علال الفاسي [٥] .

---

(١) انظر : العظم «يوسف» ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٢) انظر : العظم «يوسف» ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٣) انظر : مجلة الإيمان المغربية ، السنة ٦ ، العدد ٨ ، ص ٢٠ ، ١٣٩٥ ، ١٩٧٥ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

وفي الحق أن الكتاب يستحق أكثر من ذلك ؛ لأنه يمثل الخبرة الطويلة والمعاناة الصادقة للشهيد في حقل الدعوة مبينا في الوقت نفسه عمق تفكيره ونضج فلسفته في منهج الحركة الإسلامية وخصائصها ومميزاتها ومقوماتها ، مما سنتحدث عنه عند تصدينا للكلام عن المنهج الفكري في تفسيره في القسم الثاني من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى .

ويوضح الشهيد في الكتاب أن خصائص المجتمع الإسلامي تقوم على الحاكمية لله تعالى وحده ، وأن البشر الذين يتحركون في إطاره تجمعهم رابطة العقيدة التي تشكل عصبة ، والتي تنمحي بجانبها كل الروابط الأخرى ، كما يوضح أن بناء المجتمع الإسلامي يقوم على أساس كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ؛ إذ هي المنبع الذي يرفد كل حركة وسكون في بنية هذا المجتمع .

وفي فصل «لا إله إلا الله منهج حياة» [١] يتطرق إلى موضوع المجتمع الجاهلي والإسلامي ، وفيه يعقد موازنة بينهما ، فيؤكد عبر ذلك أن المجتمع الجاهلي هو مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده ، وتدخل فيه جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض [٢] فعلا .

وفي فصل «الإسلام هو الحضارة» [٣] أكد أن الإسلام هو الحضارة وليس هو من أسس الحضارة كما يذهب إلى ذلك البعض؛ لأن المجتمع حين تكون حاكميته لله فإن ذلك يحرر الإنسان من العبودية للبشر فتكون هذه الحضارة ، وليس أدل على ذلك من أن حضارة الإنسان تتطلب بالأساس الحرية ، وبدون حرية لا يمكن أن تتحقق حضارة أبدًا .

---

(١) مجلة الإيمان المغربية ص ١١١ ، وما بعدها ط ٢ ـ مطبعة الرسالة ـ الرباط المغرب عام ١٩٦٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٩ وما بعدها .

ويختم المؤلف كتابه بفصل «هذا هو الطريق» يبين فيه أن سبيل الدعاة محفوف بالأخطار ، وإن توليتهم القيادة لا يمكن أن تتحقق بدون تضحيات كبيرة ، وقد عزز ذلك بأمثلة نابضة حية للذين لاقوا في سبيل الله كل أنواع التنكيل «كآل ياسر وأصحاب الأخدود» .

مهما يكن من أمر فالكتاب مرآة صقيلة لفكر سيد قطب الإسلام في قمته وشموخه ، لأنه عصارة تفكير عميق وتجربة طويلة في ميدان الدعوة والتنظيم ، وخبرة واسعة في تربية النفوس ، واطلاع واسع على مقاصد الإسلام ومراميه .

لأجل ذلك قدم سيد قطب رأسه ثمنا للكتاب ، كما سبق ، وكان هذا جد متوقع ، لكون الكتاب يحمل في طياته صرخة الداعية المخلص الذي لا يجامل ، ويتزلف على حساب العقيدة كما هو سلوك كثير من علماء السوء في وطننا الإسلامي الذين لا يتورعون عن إحراق البخور ، وبذل الفتاوي لتزكية الحكم في قراراته سواء أكان على حق أم على باطل .

وإن محاكمة سيد قطب في الحقيقة كانت تدور حول كتاب «معالم في الطريق» ، ومما يدل على ذلك هذه الحقائق التي أوردها كتاب «لماذا أعدم سيد قطب وإخوانه؟» وهي كما يلي :

«بدأ رئيس المحكمة بسؤال الشهيد سيد قطب عما قاله عن المجتمع الحاضر ، ثم أتبع سؤاله بتحذير «اوعى تقول لنا معالم في الطريق كله »[1] .

وأيا ما كانت الحال فقد أحدث الكتاب ضجة كبرى في مصر وغير مصر ، بما حمله من فكر إسلامي ناضج في فقه الحركة والتنظيم ، وخبرة طويلة في التخطيط للعمل الإسلامي ودعوة صريحة إلى تحكيم الإسلام في حياة الناس .

---

(١) مجلة الإيمان المغربية ص ١٣ .

ريادة سيد قطب للفكر الإسلامي الحديث

سبق منا الكلام بأن سيد قطب عبقرية فذة أهلته لأن يحتل في نهضتنا الأدبية مكان الصدارة والريادة ، هذه العبقرية هي نفسها التي أهلته لأن يحتل كذلك مكان الصدارة والريادة في الفكر الإسلامي الحديث بعد أن انصرف عن النشاط الأدبي ، واتصل بالفكر الإسلامي عن طريق الدراسات الجمالية للنصوص القرآنية ـ كما سبق الإيماء إلى ذلك ـ وراح يعب من الكتاب والسنة ما يعب ، ومن الفكر الإسلامي ما يعب دون أن يرتوي ، وكلما ورد النبع اشتد به العطش إلى أن ارتوى بعد أن أصبح ينفق الساعات الطوال في الورود ، فامتلأت الوطاب ، وفاض الخاطر ، وبدأت العبقرية تتفتق وتهب الناس عصارة الجهد .

إن ريادة سيد قطب للفكر الإسلامي الحديث تتمثل فيما قدمته كتبه العديدة من مباحث جديدة عن الإسلام في شموليته للإنسان والحياة والكون ، وعن خطة العمل الإسلامي وأسرار تنظيمه ، وفقه الدعوة والحركة ، دارسة ومقعدة ومنظرة وواضعة الأسس ، ومبرهنة عن غزارة علم الرجل ومكانته وفطنته وشفافية إيمانه وإمامته في هذا المضمار ، وإلى إمامة سيد وريادته هذه تشير المجاهدة زينب الغزالي ـ وهي من هي في مجال الدعوة ـ بقولها : «قررنا ـ بتعليمات من الإمام سيد قطب وبإذن الهضيبي ـ أن تستمر مدة التربية والتكوين والإعداد والغرس لعقيدة التوحيد في النفوس والقناعة بأنه لا إسلام إلا بعودة الشريعة الإسلامية ، وبالحكم بكتاب الله وسنة رسوله لتصبح شريعة القرآن مهيمنة على كل حياة المسلمين »[١] .

وقد يتساءل البعض ، إذا كان سيد قطب رائدا للفكر الإسلامي الحديث ، فماذا سيبقى للإمام الشهيد حسن البنا ~ من ريادة؟[٢] .

---

(١) أيام من حياتي ، ص ٣٧ .

(٢) لصاحب هذه الدراسة بحث مخطوط بعنوان «منهج الدعوة عند الإمامين الشهيدين حسن البنا وسيد قطب» ، تحدث فيه بإسهاب عن هذا الموضوع .

الجواب ليس عسيرا على من فكر مليًّا في عمل هذين الإمامين الشهيدين رحمهما الله ؛ ذلك أن الإمام البنا يعتبر الرائد الأول ، بلا منازع ، فهو الذي رسم الطريق وبنى النفوس ، وكون الجماعة التي عملت خلال نصف قرن ، ومازالت ، تعمل ثم استشهد لتعيش الدعوة وتشق الطريق ، وفعلا كان ذلك .

وجاء سيد قطب وسار على الطريق نفسه ، ونضجت لديه الفكرة ورعاها ونماها بعبقريته ، فبلغ الفكر الإخواني على يده مرحلة النضج الكامل ، فتربت على يده الطلائع الإسلامية وتأسّت به في خطته في بناء العمل الإسلامي ، وفقه التنظيم الحركي ، ثم استشهد لتنتصر الدعوة وتسقط أقنعة المكر ، وفعلا كان ذلك .

هكذا أطلع التاريخ هذين الرجلين إمامين رائدين يتألقان جودا ويشعان عطاءً ، وجاءت الشهادة لتؤكد ذلك وتباركه وتمنحه حياة الخلود ، وتملي على الأجيال مختلف الدلالات الغنية ، يطل منها في كل وقت على آفاق تضوئها رسالة الإسلام الهادية التي تعد المسلم اليوم ، ثانية ، لأن يأخذ مقالد الريادة للكون إن شاء الله تعالى .

*****

obeikandl.com

فهـرس المصادر والمراجـع

- ابن كثير اسماعيل : تفسير القرآن العظيم ج٢ ـ ط دار الفكر «من غير تاريخ» .
- بركات «محمد توفيق» : سيد قطب خلاصة حياته ومنهجه في الحركة النقد الموجه إليه ـ دار الدعوة ـ بيروت «من غير تاريخ» .
- التوبة «غازي» « الفكر الإسلامي المعاصر : دراسة وتقديم ط ٣ ـ دار القلم ـ بيروت ١٩٧٧ .
- حسين «عبد الباقي محمد» : سيد قطب حياته وأدبه ، رسالة ماجستير بالآلة المكررة ـ دار العلوم ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ .
- الخالدي «صلاح» : سيد قطب الشهيد الحي ـ ط١ مكتبة الأقصى ـ عمان الأردن ١٤٠١ ـ ١٩٨١ .
- رزق «جابر» : المؤامرة مستمرة على الإسلام ـ ط١ دار الأنصار ـ القاهرة ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ .
- رزق «جابر» : مذابح الإخوان في سجون ناصر ط ٢ دار الاعتصام ـ القاهرة ١٣٨٩ ـ ١٩٧٨ .
- رزق «جابر» : مذبحة الإخوان في ليمان طرة – ط١ دار الاعتصام ـ مصر ١٣٨٩ ـ ١٩٧٩ .
- الريسوني «محمد المنتصر» : الحب في الله ط١ مطبعة دسبريس تطوان المغرب ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ .
- الريسوني «محمد المنتصر» نوافذ على مدائن العشق والقهر ـ ديوان شعر مخطوط .
- الريسوني «محمد المنتصر» : الاستشراق مخطط وهدف : دراسة مرقونة .

obeikandl.com

▪ الريسوني «محمد المنتصر» : في وهج الوجدان ـ ديوان شعر المخطوط .

▪ الريسوني «محمد المنتصر» : إلى الجنة عبر أحراش العذاب ـ ديوان شعر لمخطوط .

▪ الريسوني «محمد المنتصر» : أعراس الشهادة في موسم الشنق مسرحية شعرية ـ مطبعة ديسبريس ط١ ـ تطوان ـ المغرب ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ .

▪ السادات «أنور» : يا ولدي هذا عمل جمال ـ دار القومية للطباعة والنشر .

▪ عطية الله «أحمد» : القاموس السياسي ط٣ ـ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٨ .

▪ العظم «يوسف» : الشهيد سيد قطب ط١ دار القلم ـ بيروت ١٤٠٠ ، ١٩٨٠ .

▪ الغزالي «زينب» : أيام من حياتي ط١ ـ دار الشروق ـ القاهرة ١٩٧٨ .

▪ ضيف «شوقي» : الأدب العربي المعاصر في مصر ط ٦ دار المعارف ـ مصر .

▪ فضل الله «مهدي» : مع سيد قطب في فكره السياسي والديني ـ ط٢ ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ .

▪ فضل الله «سيد» : آثاره الأدبية والإسلامية وقد نص عليها في الحواشي بتفصيل .

▪ قطب «محمد» : منهج الفن الإسلامي ـ دار القلم «من غير تاريخ» .

▪ قطب «محمد علي» : سيد قطب الشهيد الأعزل ـ دار المختار الإسلامي ـ القاهرة «من غير تاريخ» .

▪ مندور «الدكتور محمد» : الشعر المصري بعد شوقي الحلقة ٣ ـ دار نهضة مصر .

▪ الندوي «أبو الحسن» : مذكرات سائح في الشرق العربي ط٢ ـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٥ وط٣ ـ مؤسسة الرسالة ١٣٩٨ ، ١٩٧٨ .

obeikandl.com

▪ لماذا أعدم سيد قطب؟ «من غير مؤلف» .

المجـلات والجـرائد

المجلات :	الجرائد :
الرسالة	الأهرام
الأسبوع	أخبار اليوم
البلاغ الأسبوعي	الشهاب «البيروتية»
الكتاب	النور «المغربية»
العالم العربي	العلم «المغربية»
دار العلوم	
الهلال	
المسلمون	
المقتطف	
المصور	
المجتمع «الكويتية»	
الإيمان «المغربية»	

*****

obeikandl.com